

مصالي الحاج و القضايا العربية Masali Haj and Arab issues

د/ بن جلول هزرشي

جامعة زيان عاشور - الجلفة

Bendjelloul70@yahoo.com

تاريخ الارسال: 2019/10/21 تاريخ القبول: 2019/10/28 تاريخ النشر: 2019/12/19

الملخص:

يلقب ب " أبو الوطنية" أفنى جزءا من حياته في السجون, والمعتقلات, والمنفى دفاعا عن الجزائر وسيادتها. ظللمه المؤرخون, ورفاق دربه في النضال حتى أصبح يعرف في السرديات التاريخية ب"الزعيم المفترى عليه". تداخلت في دراسة مسيرته النضالية, وتقييم دوره أثناء الحركة الوطنية, والثورة التحريرية الكبرى الايديولوجيا بالتاريخ, والذاتية على حساب الموضوعية. وإذا كان قد ركز في مطالبه السياسية على البعد الوطني, وضرورة تجاوز كل مآسي الاحتلال الاقتصادية, والاجتماعية, والثقافية فإنه لم يهمل البعد العربي من خلال الدعوة إلى الوحدة المغاربية عبر التنسيق مع قيادات الحركات الوطنية في تونس والمغرب. واتضح هذا الدور بعد تأسيس نجم شمال افريقيا. في السياق ذاته اهتم بالقضايا العربية, ووثق علاقاته مع القيادات السياسية في المشرق العربي. وقد اربط كل ذلك بإيمانه بمعركة المصير الواحد, ووحدة المنظومة الحضارية والثقافية.

الكلمات المفتاحية:

مصالي الحاج, عبد الكريم الخطابي, شكيب ارسلان, المغرب العربي, نجم شمال افريقيا, سوريا, فلسطين, جنيف, الاحتلال الفرنسي, البربرية, الإسلام, اللغة العربية.

Abstract:

Nicknamed "Abu al-Wataniah", spent part of his life in prisons, detention camps and exile in defense of Algeria and its sovereignty. The historians, and his comrades in the struggle, have wronged him in the struggle until he became known in the historical narratives as "the leader who is prone to him." He was involved in the study of his struggle, the evaluation of his role during the national movement, the major ideological revolution in history, and self-interest at the expense

of objectivity. If he focused his political demands on the national dimension and the need to overcome all the tragedies of economic, social and cultural occupation, he did not ignore the Arab dimension by calling for Maghreb unity through coordination with the leaders of national movements in Tunisia and Morocco. This role became apparent after the founding of the North African star. In the same context he took care of Arab issues and strengthened his relations with political leaders in the Arab Mashreq. All this was linked to his belief in the battle of one destiny and the unity of the cultural and cultural system.

Key words :

Masali El Haj, Abdelkrim El Khattabi, Shakib Arslan, Maghreb, North African star, Syria, Palestine, Geneva, French occupation, Berberism, Islam, Arabic

مقدمة:

يعتبر مصالي الحاج أحد أهم القيادات السياسية، والزعامات التحررية التي ارتبط اسمها بالدعوة إلى الحرية والاستقلال في الجزائر خلال فترة السيطرة الاستعمارية، في الوقت الذي كان فيه زعماء آخرون يطالبون بالاندماج، والإصلاح، والمساواة وقد تحمل نتيجة ذلك كل أنواع الاضطهاد، والملاحقة، والنفي، والسجون. وإذا كان أغلب الدارسين لمسار مصالي الحاج السياسي قد ركزوا على نضاله الوطني، فإن الورقة تتناول بعده العربي، ونضاله القومي من خلال تحليل العوامل التي ساهمت في بلورة توجهه العربي، وإبراز مظاهر انحراجه وتماحيه، ودفاعه عن القضايا العربية. يضاف لذلك دراسة المناوئين لتوجهه العربي .

أولاً: عوامل توجهه العربي : يمكن رصد أهم العوامل والأسباب التي ساهمت في تشكيل البعد العربي لمصالي الحاج في النقاط التالية:

1- لعب تكوينه الثقافي و الاجتماع ي دورًا كبيرًا في نضجه الفكري والسياسي المبكر، فقد انتمى للطريقة الدرقاوية و تأثر بتراتها الثوري و ماكان يقدمه شيوخها

من دروس و شروحات تركز على المحتوى العلمي نظريا , و لكنها عمليا تقوي من ارتباطه بأصوله العربية الاسلامية .

كما لعب والده دوراً كبيراً في دفعه إلى الاهتمام بتطورات السياسة العلمية، حيث كان "يحصّر ابنه بالأسئلة حول هذا الموضوع مغذياً في أعماق نفسه أملاً في أن هذه الحركة الكبيرة سوف توقظ العالم العربي والإسلامي وتدفعه إلى التحرر" (1).

2- علاقته بشكيب أرسلان الذي مارس تأثيراً واضحاً على القيادات، والزعامات السياسية في المغرب العربي وخاصة على مصالي الذي كان يُعد آنذاك من أنشط القادة الجزائريين (2). وقد توثقت العلاقة بينهما بعد وصول مصالي الحاج إلى جنيف سنة 1935 (3). وهناك كانا يلتقيان لمناقشة وتبادل الأفكار حول مشاكل الساعة، و الصحافة اليومية، وأخبار الشرق وشمال إفريقيا (4). وقد ساهمت مواقفهما النضالية ضد الإستعمار الفرنسي بشكل خاص والأوروبي بشكل عام إلى إعتزاز أحدهما بالآخر. فقد قال شكيب عن مصالي الحاج " لو كان في العالم الإسلامي عشرة شبان كمصالي الحاج لتحرر منذ زمن بعيد " (5).

وفي سنة 1936 كتب مصالي الحاج: " ومن ناحية أخرى فإن محبتي و ثقتي وإعجابي بالأمر شكيب إرتفعت، وصرت أعتبره من الآن أكبر زعيم في العالم العربي" (6). وفي الرسالة التي أبن من خلالها مصالي الحاج صديقه بعد وفاته ذكر: " إن معرفتي لشكيب أرسلان أعدها غرة في فاتحة حياتي ودرّة من الدرر التي أبقى فخوراً بها مدى الحياة، رأيت هذا الوطني الغيور والعالم الجليل والمجاهد الذي لا يعرف الفتور، نعم رأيته وعرفته فوجدت فيه الشخصية الإسلامية الكبرى التي يستحيل على الإنسان أن يسجل مالها من المزايا والمجهودات في سبيل تحرير الأمم العربية الإسلامية " (7). ولعل أهم تأثير مارسه شكيب أرسلان على الحركة الوطنية الجزائرية، كما ذهب إلى ذلك جوزيف ديارمي " يظهر في أن " فكرة الوحدة العربية قد أدخلت إلى الجزائر

عن طريق الجريدة المصرية "المنار" لصاحبها رشيد رضا ، والذي كان من بين مساعديه شكيب أرسلان عدو كل الشعوب المستعمرة ورسول الوحدة العربية " (8). وفي السياق ذاته ساهمت الإتصالات بين شكيب أرسلان ومصالي الحاج في جنيف ، ومشاركة النجم في المؤتمر الإسلامي الأوروبي في ترسيخ التوجه الإيديولوجي العربي الإسلامي للوطنية الجزائرية (9). ومن جهة أخرى ساهم شكيب أرسلان في إبعاد مصالي الحاج عن الحزب الشيوعي، و توجيهه لمقاومة مشروع بلوم- فيوليت، و في التقريب بين النجم وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (10). كما يرجع له الفضل في نشر الفكر القومي العربي (11) ، وفي تحسين رؤيته السياسية عن الوطن العربي ، حيث أدرك أنه يتمتع بإمكانات مهمة تساعد على التحرر، وعلى أهمية التعاون مع المغاربة والمشاركة (12). كما يظهر تأثير أرسلان على جمعية العلماء من خلال نشر "الشهاب" و "البصائر" لمقالاته ، وتبني مواقفه وأفكاره ، فيما يتعلق مثلاً بموقفه من الوحدة العربية، ومصطفى كمال أتاتورك (13).

ويبرز مصالي الحاج في بداية العشرينات من القرن المنصرم إعجابه بالشرق، وسحره وجاذبيته، وتتبعه لأحداثه، وتطورات، بالقول: "... وقد صرت كثير الإهتمام بالشرق، كنت أتحيل جاذبيته وسحره من خلال قصة ألف ليلة وليلة وكتب بيار لوطي. كنت أتابع الأحداث السياسية الدولية كما أهتم بصفة خاصة بتقسيم العالم العربي الإسلامي وإلى الوضعية في شمال إفريقيا" (14). وفي حوار مصالي الحاج مع بعض أعضاء المؤتمر الإسلامي الذين جاءوا لباريس لتقدم كراسة المطالب لحكومة ليون- بلوم ذكر في أثناء الرد على رفضه لربط الجزائر بفرنسا: "... إن الجزائر كانت مستقلة وأنها إنتمت إلى الإمبراطورية العربية، ثم إلى الإمبراطورية العثمانية" (15).

3- صدى الأحداث الدولية والعربية التي عاصرها، بلورت وعيه العربي، وحددت اتجاهه السياسي، والتي كان يتابعها، ويتأثر بها، سواء من خلال النقاشات التي كانت

تحدث في البيت مع أصدقائه أثناء وجوده في تلمسان، أو بعد هجرته إلى فرنسا، واحتكاكه المباشر بقضايا الوطن العربي والعالم الإسلامي، وتضامنه معها من خلال المظاهرات، وتوزيع المنشير، والكتابة في صحافة الحزب، يضاف لذلك زيارته للأقطار العربية وفي هذا الإطار زار السعودية لأداء فريضة الحج، وانتقل إلى مصر في أكتوبر 1951، والتقى هناك بالأمين العام للجامعة العربية عزام باشا، وبالحاج أمير الحسيني(16).

4- العامل الديني واللغوي: يذهب الدكتور أبو القاسم سعد الله في إبراز أهمية الدين في صلب حركة الجهاد الجزائري إلى القول: "... فإن العمود الفقري في كل تحرك ضد القوى الاستعمارية هو في نظرنا العامل الديني. ونعني أن الأمر كان كذلك حتى بعد ظهور منظمة النجم. وقد ازداد هذا العامل ظهوراً وقوة أثناء الثورة التحريرية، ولم يكد يختفي إلا منذ برنامج طرابلس 1962"(17). وعلى هذا الأساس فإن القارئ لمذكرات مصالي الحاج، والمتابع لأبرز نشاطاته السياسية، ولقاءاته الصحفية، ومختلف أدبيات الحزب المنشورة يقف على الكثير من الشواهد التي تؤكد على اهتمامه بالبعد الحضاري للجزائر، ففي برنامج نجم الشمال الإفريقي الذي أقره مؤتمر 1933 طالب بضرورة تعليم اللغة العربية إجبارياً، وبوجوب احترام تعاليم القرآن الكريم التي تمنع المسلم من قتل المسلم فيما يخص الخدمة العسكرية (18). وكرر النجم مطلب تعليم اللغة العربية إجبارياً في جميع المستويات، وإلغاء التبشير في شمال إفريقيا، والكف عن دعم المذهبين الكاثوليك والبروتستانت في برنامج المطالبة الفورية التي قدمها النجم بالاشتراك مع "لجنة الدفاع عن الحريات بتونس" و"لجنة الدفاع عن مصالح مراكش" إلى الجبهة الشعبية بتاريخ فيفري 1936 بقصد تحقيقها في بلدان شمال إفريقيا(19).

وفي القانون الأساسي لجمعية "الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا" طالب بتاريخ 28 فبراير 1935 بتحرير مسلمي شمال إفريقيا مادياً وروحياً. ومن خلال

التوصيات المصادق عليها من طرف المؤتمر العام لحزب الشعب الجزائري المنعقد بتاريخ 23 و 24 أوت 1938 طالب بتأسيس كلية للآداب العربية بجامعة الجزائر، تدرس فيها اللغة والآداب العربية إلى جانب التاريخ، وعلم الاجتماع والفلسفة الإسلامية على غرار معهد الدراسات المغربية، والمدرسة العليا للغات والآداب العربية بتونس (20)، وبإصدار مرسوم يجعل اللغة العربية إجباريًا في جميع مستويات التعليم على غرار الوضع في تونس والمغرب، وفي المشرق العربي أيضا (21).

ويظهر التشبث بالإسلام في أدبيات النجم في رأيه التي كتبت عليها بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مثل: "واعتصموا بحبل الله جميعاً" "تحركوا يا عبادي ترزقوا" أو "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص" أو "اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً" (22). في السياق ذاته بدأ نجم منذ بداية شهر جانفي 1934 ينظم دروساً في اللغة العربية، وتعاليم الإسلام، وأصبح الخطاب باللغة العربية محبداً في اجتماعات النجم. كما أصبحت المنشورات إلى جانب جريدة الأمة تنشر أعمدة باللغة العربية (23). وخلال رفضه للمطالب التي حددها المؤتمر الإسلامي وجه النجم نداءً للشعب الجزائري نقطف منه: "نحن نريد أن تكون لغتك العربية لغة رسمية للبلاد، نريد أن تكون مساجدك وأوقافك بيدك تصرف فيها حسب القرآن العظيم" (24).

في السياق ذاته ومن خلال الحوار الذي أجرته معه جريدة "Le semeur" التابعة للفيدرالية الفرنسية للجمعيات المسيحية طرح على مصالي الحاج سؤال تمحور حول مستقبل الدولة الجزائرية بعد الاستقلال بين اللائكية والإسلام فأكد على احترام كل الوطنيات، والديانات انطلاقاً من الآية "لكم دينكم ولي دين" (25).

ثانياً: مصالي الحاج وحرب الريف

لم يتوقف دعم الجزائريين وتضامنهم مع ثورة عبد الكريم الخطابي داخل الجزائر فقط، بل إمتد إلى فرنسا حيث كان يوجد عدد كبير من المهاجرين المغاربة الذين اضطرتهم ظروفهم الاجتماعية، والاقتصادية، ورغبتهم في التنسيق والتعاون لحماية وجودهم والدفاع عن مصالحهم إلى عقد أول مؤتمر شمال إفريقي في باريس بتاريخ 7 ديسمبر 1924 حضره حوالي 75000 عامل من المغرب العربي كان معظمهم جزائريين. وبغض النظر عن أهداف المؤتمر الرئيسية، وما إتخذه من قرارات، فإن ما يهمنا فيما يتعلق بموقف الجزائريين من ثورة عبد الكريم الخطابي هي برقية التأييد والعطف، التي أرسلها المؤتمر إلى المغاربة هنأوهم فيها على إنتصاراتهم المحققة ضد الإسبان، وعبروا فيها عن تضامنهم معهم لتحرير بلادهم(26).

ويبدو في السياق ذاته أن مصالي الحاج كان متابعاً لتطورات حرب الريف، ومتضامناً معها بشكل واضح، فقد رأى في معركة أنوال، التي إنتهت بهزيمة الإسبان حدثاً خارقاً للعادة، ودفاعاً عن تحرر الشعوب الإسلامية المضطهدة(27). كما ذكر أن الجزائريين كانوا يبدون الرغبة في الانضمام إلى صفوف عبد الكريم الخطابي أثناء النقاشات والحوارات التي كان يجريها معهم (28). وقد بلغ شغف المهاجرين الجزائريين بأحداث الريف، وشخصية الخطابي درجة أن: "... العمال الجزائريين كانوا جميعاً يحتفظون في جيوبهم بصورة الأمير، وبقصاصات الجرائد التي تتحدث عن شجاعة جيشه"(29). كما يذكر مصالي الحاج أنه بعد تأسيس نجم شمال إفريقيا وضع مخططاً لإستقلاله في محادثاته الفردية مع الناس، ومع المناضلين. وقد تشكل ذلك المخطط من عشر نقاط كان من بينها تقديم شروح حول إنتفاضة الأمير عبد الكريم وشجاعته وروح التضحية لديه، ولذلك إعتبر بعد هزيمة الخطابي وكأن نجم شمال إفريقيا قد أنشئ لإستئناف كفاح الأمير عبد القادر والأمير عبد الكريم (30). وفي سياق الدعم والمساندة والتضامن مع قضايا المغرب الأقصى، ورغم أن نجم شمال إفريقيا كان منظمة

جزائرية بعناصرها وقياديينها، إلا أن إتجاهها الوجودي فرض عليها متابعة قضايا المغرب العربي ودعمها. وعلى أساس ذلك أشاد النجم خلال الجمعية العامة للعمال المغاربة المنعقدة بتاريخ 26 جوان 1926 بمقاومة عبد الكريم الخطابي، وإعتبرها إمتداداً لحركة النضال المغاربي(31). كما قاد النجم نشاطا مكثفا ضد الحرب الإستعمارية بتفيلالت والأطلس بالمغرب الأقصى، وذلك من خلال توزيع المنشورات في المغرب العربي ضد هذه الحرب(32)، وأدان فيها قنبلة القرى الهادئة، والمجازر المروعة التي أرتكبت في حق السكان الذين ثاروا ضد العبودية، وتم التأكيد على ضرورة عدم البقاء على الحياد، وعلى دعم النضال في المغرب الأقصى، والذي سيفتح الطريق أمام تحرر إفريقيا الشمالية(33).

وفي شهر نوفمبر عُقدت ثلاث تجمعات تم فيها التنديد بالسياسة الفرنسية، على إثر الأحداث التي وقعت في فاس ومدن مغربية أخرى، كما إستنكر مصالي الحاج إرسال الوحدات القتالية الجزائرية إلى المغرب الأقصى (34). وخلال سنة 1936 وجّه النجم رسالة إلى الرئيس الفرنسي عبر جريدة "الأمة" جاء فيها: "إن المغرب الأقصى وتونس ليست أقطاراً فرنسية بمقتضى المعاهدات، فقد نصّت معاهدة باردو على أن الفرنسيين سينسحبون من تونس - وكذلك بالنسبة للمغرب الأقصى وفق معاهدة 1912"(35).

ثالثا: مصالي الحاج والقضية السورية

وخلال فترة الثلاثينات تعددت مظاهر تضامن الجزائريين مع إخوانهم السوريين بشكل لافت. وعلى هذا الأساس لم يبق مصالي الحاج يركّز على القضية الوطنية فقط بل على البعد العربي من خلال طرح الوحدة بين المصريين والسوريين أيضاً (36). وخلال سنة 1936 تطوّرت حركة الإحتجاج في بلدان المغرب العربي الى تضامن مع سوريا التي كانت مُصرّة على طرح إستقلالها. وقد تجسّدت مظاهر ذلك التضامن في فتح

جريدة "الأمة" أعمدها للحديث عن القضية السورية، كما نظم نجم شمال إفريقيا رفقة الجامعة المناهضة للإمبريالية والجامعة السورية لحقوق الإنسان تجمعا احتجاجيا يوم 7 فبراير 1936⁽³⁷⁾. وبدعوة من شكيب أرسلان شارك مصالي الحاج في كل المحادثات التي دارت بين جزء من الوفد السوري المكلف بالتفاوض مع السلطات الفرنسية، الذي جاء إلى جنيف في شهر أبريل ولقاء أعضاء اللجنة السورية الفلسطينية بما في ذلك رئيس الوزراء السوري الأتاسي، ووزير الداخلية الجابري⁽³⁸⁾. وقد ظلت القضية السورية حاضرة في وعي الوطنيين الجزائريين الذين إستغلّوا أغلب المناسبات والنشاطات التي كانوا يحيونها للتعبير عن تضامنهم مع إخوانهم السوريين. فأتثناء التظاهرة التي نظمها نجم شمال إفريقيا في 14 جويلية 1936 في ليون بمشاركة خمسة آلاف مغاربي رُفِع علم النجم إلى جانب العلم السوري، وكتبت على بعض اللافتات عبارات "ليسقط قانون الأهالي وقوانين الإستثناء و"التعليم بالعربية" و"تحيا وحدة وإستقلال سوريا". ويذكر مصالي الحاج أنه على طول المسافة خصّصت الجماهير إستقبالا وديا وحرارا لنجم شمال إفريقيا والذي إرتبط بصيحات الحرية لشمال إفريقيا، وبصيحات "حرّروا العرب"، "حرّروا سوريا"⁽³⁹⁾.

ويبدو أنّ العلاقات الوطيدة التي ترسّخت بين المناضلين قد كانت سببا في تعثّر المفاوضات الفرنسية-السورية. ولذلك يذكر مصالي أن شخصا جاء لرؤية الأمير شكيب وأكد له أن السبب في ذلك التعثّر يعود إلى حضور مصالي الدائم في سير المفاوضات، ولسياسته المناهضة لفرنسا. وعلى هذا الأساس طلب منه "أن يبعدني من حاشيته، وأن يتوقّف عن مكافحة التأثير الفرنسي في البلدان الإسلامية"⁽⁴⁰⁾. وقد ساهم هذا الموقف الثوري الشجاع الذي تبناه شكيب أرسلان في ترسيخ العلاقة مع مصالي الحاج الذي كتب: "... ومن ناحية أخرى فإن محبتي وثقتي وإعجابي بالأمر شكيب إرتفعت كثيرا وصرت أعتبره من الآن أكبر زعيم في العالم العربي، إن علاقاتي

معه قد جرّت لي متاعب وجلبت لي حقوقًا شرسة" (41). وقد عاد للتأكيد على عداوة الفرنسيين له في جزء من مذكراته عندما إعتبر أن أحد أسباب خلافه مع الحزب الشيوعي الفرنسي يعود إلى علاقته مع أرسالان الذي كان مُتَّهَمًا بالتعصب (42). وفي باريس إتصل قادة نجم شمال إفريقيا بالوفد السوري الذي جاء لباريس للمطالبة بإستقلال سوريا، وعرضوا عليه تنظيم مسيرة شعبية في شوارع باريس يكون على رأسها الوفد السوري بمطالبه وشعاراته، وهكذا يكون الرأي العام الباريسي والصحافة على علم بالقضية غير أن الوفد السوري رفض هذا الإقتراح (43).

ويتضح إهتمام الإدارة الإستعمارية بمتابعة تجاوب الجزائريين مع أحداث سوريا في إجتماع اللجنة العليا للبحر الأبيض المتوسط التي عقدت إجتماعًا بتاريخ 22 فيفري 1936 وحضره رئيس الحكومة ألبير سارو، والوالي العام للجزائر، والمقيم العام بالمغرب وتونس وممثلون عن سوريا ولبنان، وكان موضوع الإجتماع نقطة واحدة "ما هو تأثير أحداث سوريا وإحتلال إيطاليا للحبشة على بلدان الشمال الإفريقي" (44). ورغم الوسائل المتعددة التي لجأت إليها الإدارة الإستعمارية لمنع متابعة الجزائريين أخبار القضية السورية، كعرقلة وصول الصحف العربية المطبوعة في المشرق العربي، إلا أنهم إستمروا في فعل المتابعة والتضامن ورصد الأخبار من خلال الصحف المهترئة، والحج، والمراسلات الخاصة، وعودة بعض المهاجرين الجزائريين إلى أرض الوطن (45).

رابعا: المناوئون لتوجه مصالي الحاج العربي: يمكن تقسيم المناوئين لتوجه مصالي الحاج العربي عبر مساره النضالي إلى:

1- الإدارة الاستعمارية التي تبنت منذ احتلالها الجزائر سياسة ثقافية تقوم على الفرنسية، والتجنيس، والإدماج والتنصير، ومحاوله قطع صلة الجزائريين بالشرق من خلال منع دخول الصحف المشرقية، ومراقبة الحج، وتزوير التاريخ وتشويهه، والتركيز على أسطورة الجزائر الرومانية، ومنع تدريس التاريخ الوطني كآلية لدمج الشعب

الجزائري وربطه بالمجال الحضاري الغربي المسيحي. يضاف إلى ذلك محاربة التوجهات
الوحدوية للاتجاه الإصلاحية، والاستقلالية بزعامة مصالي الحاج، سواءً على المستوى
المغاربي، أو العربي، أو الإسلامي.

2- **دعاة البربرية:** تبنت الإدارة الاستعمارية منذ احتلالها الجزائر سياسة تركز على
قاعدة إثارة نزاع عرقي بين مكونات المجتمع الجزائري من خلال البربرية، وبالتالي تبني
أطروحات من قبل تهميش جزء أساسي من مكونات الهوية الوطنية والهدف من ذلك
إضعاف روح المقاومة وتمزيق النسيج الاجتماعي، وإيصال الشعب الجزائري إلى نوع
من القابلية للاستعمار، وقد تبني بعض المناضلين الوطنيين المنحدرين من مناطق
محددة هذا الطرح الكولونيالي، ونتيجة ذلك ظهرت الأزمة البربرية سنة 1949
وانقسم حزب الشعب إلى: حزب الشعب الجزائري PPA وحزب الشعب القبائلي
PPK. وإذا كان مشكل الهوية، والانتماء الحضاري للجزائر كان يطرح بصوت
خافت بين بعض النخب، فإنه انفجر في نهاية الأربعينيات، ويربط بعض الباحثين
ذلك ب:

1- تأكيد أدبيات حزب الشعب، وتوجيهات بعض قادته، وفي مقدمتهم مصالي
الحاج على البعد العربي- الإسلامي للجزائر، والذي ظهر بشكل واضح من خلال
التقرير الذي أرسلته حركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى هيئة الأمم المتحدة سنة
1948، ركزت فيه على تاريخ الجزائر ما بعد الفتح الإسلامي، وأهملت باقي الفترات
الأخرى (46). وقد انتقد ورفض بعض دعاة البربرية طرح الجزائر العربية، وطرحوا بديلا
هلاميا فاقداً للبعد الحضاري وهو "الجزائر الجزائرية" (47). وانخرط بعضهم في حملة من
التهجم والنقد للعروبة والإسلام، وتأثيراتها في الجزائر (48)، بل مغادرة حزب الشعب،
والانضمام إلى الحزب الشيوعي الذي صرح أمينه العام سنة 1939 بأن الجزائر أمه
في طور التكوين، وأنها خليط من 20 عنصراً (49).

في السياق ذاته رفض بعض دعاة البربرية مغالاة حزب الشعب - كما كانوا يتصورون - في ارتباطه بالجامعة العربية، وأمينها العام عزام باشا، الذي عندما ذكره مصالي الحاج في ندوة الإطارات ببوزريعة في شهر أكتوبر 1946 نطق واعلي بناي المعروف بعدائه لكل ما هو عربي - إسلامي، وبكل سخرية واستهزاء "دعنا من العرب المخربين" (50)

خلاصة واستنتاجات:

- التكوين الثقافي، و وحدة المنظومة الحضارية التي يتحرك مصالي الحاج في مجالها كانت عاملا أساسيا في توجهه العربي ، وإيمانه بأهمية دعم الأقطار العربية، والانخراط في الدفاع عن قضاياها المصيرية.
- تمسك مصالي الحاج بالهوية العربية الإسلامية في الجزائر مرتبط برفض ومقاومة السياسة الثقافية الفرنسية التي تبنتها الإدارة الاستعمارية منذ الاحتلال، والتي تركز على مبدأ استئصال الهوية الحضارية للشعب الجزائري من خلال الفرنسية، والتجنيس، والتنصير، والإدماج .
- لم تتأسس العروبة التي كان يؤمن بها مصالي الحاج على التفوق العرقي، وتهميش باقي مكونات المجتمع الجزائري الأخرى، ولكن ارتكز على ضرورة وأهمية التضامن والدعم العربي لكفاح ونضال الجزائريين في مواجهة الاحتلال وأدواته .
- لم يكن تأثير شكيب ارسلان في فكر مصالي الحاج العامل الحاسم في توجهاته القومية فقط كما يذهب إليه بعض الباحثين، بل كان الشعور بمحاولات الاقتلاع الثقافي، والمسح الحضاري، والإلغاء التاريخي عاملا مهما في ارتباطه بالوطن العربي .

الهوامش:

1. بنيامين، ستورا، مصالي الحاج 1898-1947 رائد الوطنية الجزائرية ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 20.
2. Kaddache , **Histoire du Nationalisme algerien** ,Tome1 ,sned. Alger. p 219.
3. ليفي ، بروفنصال، "الأمير شكيب أرسلان (1869-1946)" , المجلة التاريخية المغاربية , العدد 89-90, ماي 1998, زغوان , تونس, ص 351.
4. الحاج، مصالي، مذكرات مصالي الحاج، 1898-1938 ، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP ، الجزائر، 2006، ص 186.
5. بن جمعة، بوشوشة ، شكيب أرسلان مفكرا وسياسيا ، ط 1، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 2008، ص 186.
6. مصالي ، مذكرات ، مصدر سابق , ص 191.
7. بن جمعة ، شكيب أرسلان ، مرجع سابق , ص 187.
8. المرجع نفسه , ص 34.
9. J , Despamet , **Le Panarabisme et L'Algérie in L'Afrique française** , juin 1936 , p 314
10. Kaddache , op.cit. , p 360
11. جوليان، شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسيير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 34.
12. ستورا ، مرجع سابق ص 130.
13. مصالي ، مذكرات ، مصدر سابق , ص 189.
14. المصدر نفسه ، ص 96.
15. المصدر نفسه ، ص 199.
16. ستورا، مرجع سابق، ص 205، أنظر أيضا المنار، زعماء المغرب في المشرق ، السنة الأولى، العدد 10، 22، أكتوبر 1951، ص 1.
17. أبو القاسم، سعد الله، العامل الديني في الحركة الوطنية الجزائرية خلال العشرينات، ورد في: **L'ETOILE NORD AFRICAINE et le mouvement NATIONAL ALgerien**. Actes du colloque du 27 Fevrier ou 1 mars 1987. Publication du centre culturel Algerien. Paris- 1988 P 296.
18. عبد الحميد، زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 - 1939)، ط

- 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 188.
19. نفسه، ص ص 191، 192، 193.
20. نفسه، ص 194
21. نفسه، ص 198.
22. محمد عباس، نداء الحق شهادات تاريخية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2003. محمد، بلقاسم، وحدة المغرب العربي واقع فكرة الوحدة 1910-1954 ط 1 البصائر الجديدة للنشر و التوزيع الجزائر 2013 ص 370.
23. مصالي 177 محمد ، بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا .الإنتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954 ، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص 373.
24. مصطفى هشماوي، جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998، ص 48.
25. INTERVIEW de MESSALI Hadj IN: **Réflexions messali hadj 1898-1998, parcours et temoignages** casbah editions, Alger 1998, P 233.
26. أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية ، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص 314.
27. مصالي، مذكرات ، مصدر سابق ، ص 104.
28. المصدر نفسه، ص 117.
29. المصدر نفسه، ص 120.
30. المصدر نفسه، ص 137.
31. المصدر نفسه، ص 155.
32. محمد ، قناناش، الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحريين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 48.
33. Kaddache, Guenanche, **l'etoile nord – Africaine 1926-1937**
DOCUMENTS ET Temoignages pour servir a l' etude du nationalisme
Algerien.OPU Alger 1994 p48
34. بلقاسم، مرجع سابق، ص 250.
35. Kaddache, Guenanche, **l'etoile nord Africaine** , op.cit. , P48.
36. بلقاسم، مرجع سابق ، ص 251.
37. مصالي، مذكرات ، مصدر سابق ، ص 189.
38. نفسه ، ص 190.
39. نفسه ، ص 198.

40. مصالي ، مذكرات ، مصدر سابق ، ص 198 .
41. نفسه، ص 191.
42. نفسه، ص 220.
43. نفسه، ص 106 .
44. محمد، قنانش، محفوظ، قداش، **نجم الشمال الإفريقي 1926-1937**، ط2، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، د.م.ج، الجزائر، 1994، ص 103.
45. سعد الله ، **الحركة الوطنية** ، ج2، مرجع سابق ، ص 137 .
46. ALI Guenoun, **chronologie du mouvement berbère, un combat et des hommes**, editions casbah, Alger 1999 , P 20.
47. Op. cit. P21
48. رابح، لونيسي، **دعاة البربرية في مواجهة السلطة**، دار المعرفة، الجزائر ، 2002، ص 54
49. Mohamed.Harbi: **le FLN Mirage et Réalité des origines à la prise du pouvoir 1945-1962** editions j.a. 1980 P 67
50. هشماوي، مرجع سابق، ص 66.